أماني الأنبياء

أ. د/ طه جابر العلواني

«**الأمنية**»: مفهوم من مفاهيم القرآن المجيد، جاءت مادتها في آيات كثيرة منها قوله (تعالى): ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة:94)، ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ (الجمعة:6-7)، وفي وعيد إبليس لبني آدم ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾ (النساء:119)، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (الحج:52).

«**والأمنية**» صورة تتسم في النفس بشكل حسن، وتصور لها بصورة جميلة سواء أكان لتلك الصورة حقيقة في الواقع أو أنّها صورة متخيلة قامت على تخمين أو تخيُّل أو ظن وقد تحصل بناءً على أصل ما، أو تفكير وروية وهناك اتصال وانفصال بين «**التمني**» ومجانبة الحقيقة التي تصل إلى مستوى الكذب من حيث كون الكذب مشتملا على مجانبة للحقيقة، وإعطاء صورة أو تصور لما لا حقيقة له.

كما أنّ هناك اتصالا وانفصالا بين «**التمني والتزيين**» فتزيين النفس أو الشيطان الشيء أو الرأي أو العمل للإنسان هو إعطاء صورة مغايرة أو مبالغ فيها أو ليست بحقيقة – على كل حال- لدفع المزيّن له إلى ممارسة ذلك والوقوع فيه أو... إن كان رأيًا أو حقيقةً.

والرسل والأنبياء عباد الله (جل شأنه) اصطفاهم بعلمه وهيّأهم وأعدهم لحمل رسالته ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ (النحل:2)، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (النحل:36)، وهؤلاء الرسل والأنبياء لا يفقدون صفاتهم البشريّة وخصائصهم الآدميّة بعد اصطفاء الله (تعالى) لهم، بل يبقون بشرًا آدميّين تجري عليهم سائر

السنن والقوانين الإلهيّة من موت وحياة ومرض وجهل وفقر وغنى بما لا يتيح الله –عز وجل– لهم علمه.

ويأكلون ويشربون ويتزوجون وينجبون: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (النحل:43)، ولقد أتى الكفار من ناحية عجزهم عن تصور ذلك الجمع بين الغيب والشهادة في آدميّ من تراب؛ فقالوا: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا**﴾ (الفرقان:7–9) فكان عجزهم عن استيعاب حقيقة «**النبوة والرسالة**» مصدر ضلالهم وعجزهم عن سلوك أي سبيل للهداية.

وحين لجّ مشركو قريش في طلب المعجزات والخوارق والآيات من رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– بناءً على ذلك الاختلاط في أذهانهم، وامتناعهم عن الإيمان لعجزهم عن إدراك اجتماع «**الرسالة والبشريّة**» في شخص واحد: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا**﴾ (الإسراء:94)، وكانوا قد سألوه من الآيات مَا صوّر لهم الشيطان أنّ رسالته لا تثبت إلا إذا جاء به، فذلك في نظرهم مَا يجعله متفوقًا على البشر قادرًا على أن يلتحق بركب المرسلين والنبيّين أمره الله –تعالى– أن يعلن لهم بأقوى مَا يستطيع: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا**﴾ (الإسراء:93).

هل يتمنى الأنبياء والرسل؟

وهؤلاء الأنبياء والرسل البشر الآدميّون الذين تجري عليهم قواعد الاصطفاء الإلهيّ، وسنن البشر الآدميّين معًا لهم أن يحبوا ويكرهوا، ويخافوا ويفرحوا ويحزنوا، كما أنّهم يأكلوا الطعام ويشربون المياه وينامون... إلخ.

وذلك –كلّه– لا يمنع اصطفاء من يصطفيه الله تعالى منهم لرسالته ولمكالمته وتلقي وحيه. فهذا الاستعداد قائم في خلقتهم فقد خلق الله تعالى الإنسان من صلصال كالفخار: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾ (الرحمن:14)، وفي الوقت نفسه نفخ فيه من روحه ليكون بشرًا سويًا: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ**

مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:28-29) فسجودهم لله (تعالى) الذي بقدرته جمع بين الصلصال الذي آل إلى ذلك من الحمأ المسنون وبين نفخة من روحه (جل شأنه) هو العليم بحقيقتها وتفاصيلها؛ فهذا المزج والتركيب كأنّ فيه إعدادًا مسبقًا، وتهيئة لبناء مفاهيم النبوة والرسالة؛ بل قد تكاد النبوة والرسالة تكون استمرارًا لتلك البداية أو تجليًا لها بشكل أو بآخر عجزت عقول الكفار الناسية الغافلة عن فهم ذلك واستيعابه فضلّت وأضلّت، كما ضلّ إبليس حين غفل عن الحقيقة التي أمر بالسجود لها فلم يرى منها إلا ذلك الجانب البشريّ الطينيّ – التي سوّغ بتلك النظرة الجزئيّة أن يتمرد على الخالق البارئ المصور فيلعن ويطرد من رحمته: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ (الحجر:30-44).

ولو أنّ إبليس نظر إلى الإنسان في كليّته وإلى حقيقته الكاملة ولم يغفل عن النظر في قدرة الله (تعالى) المطلقة على إيجاد مخلوق عجيب أصله ثابت في الأرض وفرعه في السماء، أو رجلاه في الأرض ورأسه في السماء لما تردد في السجود لتلك القدرة الإلهيّة المطلقة البالغة، ولولا كبره وغروره عن إدراك طبيعة ذلك المخلوق الجديد المكلّف بالاستخلاف في الأرض لأدرك أنّه يمثّل نوعًا ثالثًا من الخلق تكتمل في ثلاثيّة الخلق «**الملائكة + الجن + البشر**» ولكنّه غفل فوقع فيما سقط فيه، وقدّر الله وما شاء فعل ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولقد كانت الغفلة عن «**الحقيقة الإنسانيّة**» وراء فشل كثير من خطط التربية والتعليم وما يطلق عليه التنمية في عصور كثيرة، ومنها عصرنا هذا.

عود على أماني الأنبياء:

هل يتمنى الأنبياء؟ وإذا قلنا بجواز ذلك عقلا؟ بل وجد مَا يؤيّد وقوع ذلك منهم في الكتاب الكريم.

فهل تنطلق أمانيهم من الجانب البشريّ فيهم، أو هي مما ينبثق من جانب النبوة والغيب فيهم؟ أو هي أنواع؛ فهي في بعض الأحيان تتخذ صفات الأماني البشريّة، وفي أحيان أخرى تتخذ صفات الأماني النبويّة والرساليّة، وفي أحيان أخرى قد تكون صادرة عن الحقيقة والطبيعة المشتركة للبشر الرسول؟!

أمّا تمني الأنبياء والمرسلين فهو جائز عقلا وواقع في الكتاب الكريم؛ أمّا جوازه العقليّ فإنه من الأمور التي لا يترتب على وقوعها محال، وذلك شأن الجائز العقليّ.

وأمّا وقوع ذلك بدلالة الكتاب فنجده في قوله (تعالى): ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ *وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ (الحج:52-55) فهذه الآيات قد دلت - بوضوح – على أنَّ الشيطان يلقي في أماني الرسل والأنبياء مَا يلقيه، وأنَّ الله (جل شأنه) ينسخ مَا يلقي الشيطان، ويذهب آثاره، ويبطل شبهاته، ثم يحكم آياته بعد نسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان، وحين تتلى السورة في «وحدتها البنائيَّة» نجد أنَّ السورة من حيث مكان النزول من السور القلائل التي امتزج المكيّ والمدنيّ فيها امتزاجا من الصعب أن يميَّز معه المكيُّ منها من المدنيُّ؛ ولذلك أطلقوا عليها من هذه الناحية أنّها «مختلطة».

وهناك أقوال أخرى كثيرة في موضوع نزولها، لكن الذي يستفاد من كل ذلك أنّها نزلت في نجوم مفرّقة، وربما متباعدة، ثم أُمِرَ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلَّم– بضم تلك النّجوم في هذه السورة وإعطائها هذا العنوان الذي لم يطلق عليها غيره «الحج» لأنَّ فيها أصل الحج، وبيان كونه من إرث إبراهيم – عليه السلام– وتراثه، وتأكيد العلاقة بين مَا جاء إبراهيم به وبين خاتم النبيين ورسالته.

وكذلك التأكيد على القضيَّة المشتركة الكبرى في رسالات النبيِّين والمرسلين كافَّة، وهي القيامة والبعث والنشور والجزاء والاستدلال عليها بكل الأدلة التي من شأنها أن تقنع الإنسان – لو كان محايدا، وبعيدا عن المؤثِّرات الشيطانيَّة خاصّة- بصحة ذلك كلِّه. لكن وساوس الشيطان قد تؤثر على أولياء الشيطان، وقد تفتن مرضى القلوب، والذين أصيبت قلوبهم بالقسوة، وتحوّلهم إلى حالة الشقاق والنزاع والخلاف مع الأنبياء. وآنذاك يشعر النبيُّ أو الرسول بالحسرة والألم على بعض قومه الذين اجتالتهم الشياطين، فيتلطَّف الخالق (سبحانه) به فينزل عليه نحو قوله (تعالى): ﴿**فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ (فاطر: 8) ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىءاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ (الكهف:6) ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء:3) وفي الوقت – نفسه – تأتي آيات أخرى للتأكيد على الرسل والأنبياء بأن لا تحملهم «أمنياتهم» بأن تؤمن أممهم بهم على تجاوز « منهج التبليغ» ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلَاغُ**﴾ (الشورى:49) ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾ (الغاشية:22) ﴿**وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ**﴾ (ق:45) ﴿**فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف:29). لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلَّم – بدعًا من الرسل فقد كان –عليه الصلاة والسلام– يتمنىَّ لو أسلم العرب –كلهم أجمعون – وكثيرًا مَا أبدى تحسُّره على رفض قريش خاصَّة وغيرها عامَّة لدعوته.

وحين جاء قادة قريش انصرف – عليه الصلاة والسلام – عن ابن أم مكتوم وأقبل على قادة قريش متمنيّا أن يكون ذلك وسيلة لإقناعهم بقبول دعوته. وأنزل الله (تعالى)﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى**﴾ (عبس:1-2) يعاتبه على ذلك!!

ومع ذلك فإن كثيرًا من المفسِّرين زعموا – متأثِّرين بالروايات الإسرائيليَّة – أنَّ «الأمنيَّة» تعني فيما تعنيه «التلاوة والقراءة» وحكموا بأنَّ المراد بها –هنا – هو هذا المعنى استدلالا ببيت ركيك مختلف في صحة نسبته إلى حسَّان بن ثابت هو:

تمنّى كتاب الله أوّل ليلة تمنّىَ داود الزبور على مهل

وقالوا: إنّه أراد بـ «تمنى» قرأ.

وقد تبع المفسِّرين اللُّغويُّون حتى صار هذا المعنى البعيد مشهورا ليخرِّجوا عليه – بعد ذلك – خرافة «الغرانيق العلى» التي زعموا أنّ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلَّم – قرأ

بها وهو يتلو: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾ (النجم:19-20)، هنا تدخل الشيطان وألقى على لسان رسول الله –حسب زعمهم- وفي قراءته - صلى الله عليه وآله وسلَّم – مقالة الكفر «تلك الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى» قالوا – وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا: فلما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلَّم– السجدة في آخر السورة سجد وسجد معه جميع من حضر من المسلمين والمشركين، وتسامع الناس بأنَّ قريشًا أسلموا حتى شاع ذلك في بلاد الحبشة، فرجع من مهاجرة الحبشة قوم، منهم عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- إلى المدينة. وأن النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلَّم – لم يشعر بأنَّ الشيطان ألقى على لسانه المعصوم ذلك، فلما أخبره جبريل بذلك أصابه غمّ شديد فأنزل الله (تعالى) هذه الآية ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (الحج:52). تسلية له، وتخفيفًا عنه وليعلم أنَّ كل من سبقه من النبيِّين والمرسلين حدث لهم مثل مَا حدث له، وهو لم يكن بدعًا منهم في ذلك!!!.

وسمات الاختلاق والكذب على هذه القصة واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى كبير عناء لتكشف. فكل رواياتها واهية الأسانيد، وليس في أيٍّ من أسانيدها سماع صحابيّ لشيء من ذلك في أيّ مجلس للنبي - صلى الله عليه وآله وسلَّم – فضلا عن أن يتحمَّل أيٌّ منهم شيئًا يروى.

وهذه الروايات مما يجب ردُّها ورفضها بما هو معلوم من الدين بالضرورة من عصمة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلَّم – وأنَّه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ (النجم:3) فضلا عن أن ينطق بلسان الشيطان. وأين هؤلاء الذين روَّجوا لهذه الروايات السخيفة من تكفُّل الله «بحفظ القرآن» بنفسه؟ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر:9) وعصمته لنبيَّه ولسائر أنبيائه ورسله؟!

وقد نقل الطيبيُّ في شرحه على الكشَّاف للزمخشري: إنَّ هذه الزيادة الشيطانيَّة وضعها ابن الزبعري المشرك الذي كان يحاول الدس على القرآن الكريم ومعارضة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلَّم – باستمرار وهذا هو الأليق بمثل هذا التخريف المتناقض الذي ينقض آخره مَا جاء في أوله.

وحين نرجع إلى دواوين اللُّغة لا نجد معنى «القراءة» باعتباره أحد معاني «التمنِّي» إلا فيما نقلوه عن المفسّرين مستدليِّن ببيت حسان بن ثابت الذي يوردونه أحيانا في مدحه لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلَّم – ويوردونه أحيانا في رثائه لعثمان –رضي الله تعالى عنه:

تمنّى كتاب الله أوّل ليله وآخره لاقي حمام المقادر

وهذا لا يصلح لإثبات هذا المعنى الغريب لهذه الكلمة على افتراض صحة البيت، وصحة صدوره عن حسان.

وعلى فرض صحة ذلك فإنه يشير إلى أن عثمان –رضي الله تعالى عنه– كان يتمنَّى أن يقرأ كتاب الله –كما اعتاد– لكنَّ شغب محاصريه، ومهاجمتهم له لم يعطه فرصة لتحقيق أمنيَّته، وفي آخر الليل قتلوه.

أما قوله: «فينسخ الله مَا يلقي الشيطان» فذلك أن الله (تعالى) يزيل ويبطل مَا يلقي الشيطان من طريق القرآن، وتأثيره في القلوب ويحكم آياته ويثبتها في تلك القلوب المؤمنة المخبتة التي لن يكون لوساوس الشيطان أثر فيها أو عليها –بعد ذلك– وهذا المعنى أدعى لاستيعاب «النسخ» ورفض نسبته إلى أيّ شيء من القرآن بحجَّة جواز النسخ عقلا ووقوعه شرعًا؛ لأنه يجعل المنسوخ في هذه الآية مما يلقي الشيطان، لا من آيات الله ولا من سنَّة رسوله –صلى الله عليه وآله وسلَّم– وفي هذا مَا فيه أو كفى بذلك صارفًا عن قبول «النسخ» أو القول به.

أمثلة لأماني الرسل والأنبياء:

فالرسل والأنبياء يتمنون بالمعنى الذي ذكرناه بوصفهم بشرًا وباعتبارهم رسلا وأنبياء. ولا يتنافى «**التمني**» مع عصمتهم، وأمنيّاتهم قد تتنوّع ففيها مَا يتعلق بقبول الناس لرسالتهم والإيمان بهم. ومنها مَا قد يكون في موضوعات أخرى ولعلّ عرضنا لبعض نماذج أمنيّات الأنبياء والمرسلين[1].

1) سيدنا آدم وأمنيته:

[1] يقدم نماذج لتلك الأمنيات ، ويساعد في بيان أهم أنواعها.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:35).

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى * فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه:115-127).

فالسياق ينبه إلى أنّ آدم وزوجته بعد أن استقرا في الجنة «**المؤقتة**» تمنّى آدم الخلود فيها فكانت أمنيته تلك مدخل الشيطان إليه، ﴿**قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ (طه:120) لأنّ الوعد الإلهيّ لم يشتمل على الخلود وعدم البلى كما في: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى**﴾ (**طه:118-119**).

وقد نسخ الله (تعالى) مَا ألقى الشيطان وكتبه في سجله ليزيده به عذابًا فوق العذاب في الآخرة. كما أبطل تأثير هذا الذي ألقاه في أمنيّة آدم بتعليمه آدم التوبة، وإمضاء الله (تعالى) لسنته في هدايته آدم وبنيه، وجعل جزاء من اتبع الهدى أن لا يضل ولا يشقى، وأن يصير في الدار الآخرة إلى «**جنة الخلد وملك لا يبلى**».

2) نوح وأمنيته:

كان سيدنا نوح يتمنى أن يؤمن قومه –كلهم– بعد أن قضى في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عامًا من غير أن ييأس أو يتوقف حتى أوحى الله (تعالى) إليه: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (هود:36)، فصار يواجههم بمثل مَا يوجهونه به: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾ (هود:38)، وهنا تبرز أمنيّة نوح – عليه السلام– وقد بدأ الطوفان يغسل الأرض من أولئك القوم وأرجاسهم: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (هود:45-47).

وفي «**سورة نوح**» نجده عليه السلام –يذكر بحسرة وألم جهوده المتكرّرة المتنوّعة في دعوتهم، والنصح لهم ثم يذكر كيف عصوه وتمردوا عليه: ﴿ **قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا**﴾ (نوح:21-28).

وقد أحكم (سبحانه) آياته وسننه وقوانينه الماضية فقال له –عليه السلام: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ (المؤمنون:27)، ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾ (المؤمنون:31).

وحين ذكر بني إسرائيل في بداية «**سورة الإسراء**» بيّن (سبحانه) أنّهم: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ (الإسراء:3)، فبنوا إسرائيل ذرية أولئك الذين حملهم الله -تعالى- مع نوح في الفلك المشحون، ليستمر قانون الاستخلاف والبقاء والبلاء.

3) أمنية سيدنا إبراهيم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:124)، فكأنّه عليه السلام تمنّى أن تكون الإمامة في ذريته وفي عقبه فكان الجواب الإلهيّ: «**لا ينَال عهدي الظالِمين**». وفيها تنبيه له -عليه السلام- إلى أن ذريته سيكون فيها ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات ولن يكونوا -جميعًا- صالحين للإمامة.